غَضَبُ

أمّ المؤمنين عائشة

رضي الله عنها دروس وعبر

الدكتور

إبراهيم بن فهد بن إبراهيم الودعان

١٤٣٨هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمـــــة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد: فهذا الكتاب عبارة عن موقفٍ عظيمٍ حَدَث لأمّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها ،مع ابن أختها أسماء ،وهو الصحابي العابد المجاهد عبدالله بن الزبير رضي الله عنه ، وعن أبيه ، فهي قصّة قصيرة ،نُبْحِر بين سطورها ، نسْتنْبط منها الفوائد ،ونلْتمِس منها الفرائد.وأسميته :(غَضَبُ أمّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها دروس وفوائد).

وخطة الكتاب : ذكرتُ الحديث ثم الفوائد منه ،وكل فائدة أكتبها اذكر مصدرها الذي أخذتها منه في الحاشية من المكتبة الشاملة ،أو غيرها ، وقد أعدّل في العبارة قليلا ، أو أضيف ، ومالم اذكر مصدره فهو من استنباطي ، وحاولت أن استوعب جميع فوائد الحديث. وقد يكون للحديث عدة روايات، فلم استقص بذكر أرقام الروايات الأخرى .وإنما اكتفيت بما أوْردت .

هذا والله أسأل أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم ، وأن ينفع به كاتبه وقارئه ، وناشرَه ، وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد .

المؤلف

د. إبراهيم بن فهد بن إبراهيم الودعان

Ebrahim .F .W@Gmail.com

الحديث

عن عوف بن الحارث بن الطفيل- وهو ابن أخي عائشة لأُمّها- أن عائشة رضي الله عنها حُدّثَت: أن عبد الله بن الزبير قال في بيع- أو عطاء- أعطته عائشة: " والله لَتَنْتَهِيَنّ عائشة، أو لأَحْجُرَنَّ عليها". فقالت: " أهو قال هذا؟ قالوا: نعم. قالت عائشة: "فهو لله نَذْرٌ أن لا أُكَلّمَ ابن الزبير كلمةً أبدا" فاستشفع ابن الزبير بالمهاجرين حين طالت هجرتها إياه. فقالت: والله لا أشفع فيه أحدا أبدا، ولا أحنث نذري الذي نذرت أبدا. فلما طال على ابن الزبير كلّم المسور بن مخرمة، وعبد الرحمن بن الأسود بن عبد يغوث، وهما من بني زهرة. فقال لهما: أنشدكما الله إلا أدخلتماني على عائشة؛ فإنها لا يَحِلُّ لها أنْ تَنْذُرَ قطيعتي، فأقبل به المسور وعبد الرحمن، مشتملين عليه بأرديتهما، حتى استأذنا على عائشة. فقالا: السلام عليك ورحمة الله وبركاته، أَنَدْخُل؟ فقالت عائشة: ادخلوا. قالا: كُلّنا يا أم المؤمنين؟ قالت: نعم: ادخلوا كلكم. ولا تعلم عائشة أن معهما ابن الزبير، فلما دخلوا، دخل ابن الزبير في الحجاب[1]، واعتنق عائشة وطَفِقَ يناشدها يبكي، وطَفِقَ المسور، وعبد الرحمن يناشدان عائشة إلاّ كلّمتهُ وقَبِلَت منه،ويقولان: قد عَلِمْتِ أنّ رسول الله ﷺ: "نهى عما قد علمت من الهجرة، وأنه لا يحلّ للرجل أن يَهْجُرَ أخاه فوق ثلاث ليال". قال: فلما أكثروا التذكير والتحريج [2]طَفِقَتْ تذكّرهم وتبكي. وتقول: إني قد نذرت والنذر شديد، فلم يزالوا بها حتى كلمت ابن الزبير، ثم أعتقت بنذرها أربعين رقبة، ثم كانت تذكر بعد ما أعتقت أربعين رقبة فتبكي حتى تبل دموعها خمارها.[3]

---

(١) الحجاب : الستر الذي بين عائشة رضي الله عنها ، والناس .(منحة الباري بشرح صحيح البخاري لزكريا الأنصاري ٥٧٩/٦) .

(٢) التحريج : من الحرج وهو ضيق الصدر وغيره ويطلق على الإثم. (فتح الباري لابن حجر ١٠٤/١).

(٣) الأدب المفرد للبخاري ص ٢٠٤ رقم ٣٩٧ . وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد للألباني ١٥٦/١ رقم ٣٩٧ ٣٠٦ . والحديث في صحيح البخاري ١٨٠/٤ رقم ٣٥٠٥ بلفظ مقارب .

الفوائد المستنبطة من الحديث

(١) ذمُّ هَجْرِ المسلم لأخيه ، والهَجْر: مفارقةُ كلام أخيه المؤمن مع تلاقِيهِما ،وإعراض كل واحد منهما عن صاحبه عند الاجتماع . [٤]

(٢) تحرمُ الهجرة بين المسلمين أكثر من ثلاث ليال بالنص، ويباح في الثلاث بالمفهوم، وإنما عفى عنه في ذلك لأن الآدمي مجبول على الغضب، فسومح بذلك القَدْر ليرجع ،ويزول ذلك العارض. [٥]

(٣) قوله:(فاستشفع ابن الزبير بالمهاجرين) أي: طلب إعانتهم ، وشفاعتهم ، ليقفوا معه ، ويساعدوه . [٦]

(٤) كانت عائشة رضي الله عنها ، تتصدق بكل شيء يقع في يدها ادّخارا للدار الآخرة . [٧]

(٥) إن قلتَ: كفارة اليمين عتق رقبة، فَلِمَ هذه المبالغة؟ قلتُ: كانت أطلقَتْ النذر ولم تقيّده بعتق، أو صوم، كانت تخاف أن لا تُكفر عن مُطْلق النذر على ما فعلته. [٨] والصحيح أنّ كفارته كفّارة يمين لحديث:" كفارة النذر كفارة اليمين " [٩] وهو مذهب الشافعي [١٠] ، وحديث:"من نذر نذرا ولم يُسَمّهِ فعليه كفارة يمين" ولعله لم يبلغها. [١١] ولكن هذا من اجتهاد عائشة رضي الله عنها، وشدّة احتياطها . [١٢]

(٦) وقوله :(التحريج) من الحَرَج ،وهو ضِيق الصدر وغيره ،ويطلق على الإثم . [١٣]

---

(٤) عمدة القاري شرح صحيح البخاري للعيني ١٤١/٢٢ .
(٥) المرجع السابق . شرح مصابيح السنة لابن المَلَك ٣٢٠/٥ .
(٦) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري للقسطلاني ٣٢٥/٩ .
(٧) الكوثر الجاري إلى رياض أحاديث البخاري للكوراني ٣٥٠/٦ .
(٨) المرجع السابق ٣٥١/٦.
(٩) صحيح مسلم رقم ١٦٤٥.
(١٠) الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري للكرماني ١١٧/١٤ .
(١١) التوضيح لشرح الجامع الصحيح لابن الملقّن ٤٩/٢٠ . والحديث في سنن أبي داود ٢٤٠/٣ رقم ٣٣٢٤ . ابن ماجه ٦٨٧/١ رقم ٢١٢٧ قال الألباني رحمه الله :(صحيح دون قوله : ولم يُسمّه صحيح ابن ماجة ٣٦٣/١ رقم١٧٣٠) .
(١٢) منحة الباري بشرح صحيح البخاري لزكريا الأنصاري ٥٨٠/٦. مصابيح الجامع للدماميني ١٨٧/٧ .
(١٣) فتح الباري لابن حجر ١٠٤/١.

(٧) قوله (بني زهرة) بضم الزاي وسكون الهاء ابن كلاب أخو قصي بن كلاب ،وقرابته من رسول الله ﷺ من جهة أنّ أمّه آمنة كانت منهم؛ لأنها بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة.[١٤]

(٨) قولها:(وددتُ أني جعلتُ حين حلفتُ عملا أعمله فأفرغ منه)[١٥] أي: تَمَنّت رضي الله عنها أنّها لو كان بدل قولها: عليَّ نذرٌ على إعتاق رقبة أو على صوم شهر ونحوه، من الأعمال المعيّنة ،حتى تكون كفّارتها معلومة معينة، وتفرغ منها بالإتيان به ،بخلاف لفظ :عليَّ نذرٌ فإنه مُبْهم لم يطمئن قلبها باعتاق رقبة أو رقبتين ،وأرادت الزيادة عليه في كفارته، أو تمنت أن يدوم لها العمل الذي عملته للكفارة، يعني أكون دائما ممن أعتق العبيد لها،أو تمنت أنها يا ليتها كَفَّرَت حين حَلَفَت ولم تقع الهجرة ،والمفارقة في هذه المدة.[١٦]

(٩) كيف استجازت عائشة رضي الله عنها هذا مع منع الشارع الهجران فوق ثلاث؟ الجواب :لعلها تأوّلت في هذا الأمر.[١٧]

(١٠) كرَمُ عائشة رضي الله عنها ، وسخاء نفسها .[١٨]

(١١) الحب الشديد لعبدالله بن الزبير من قِبَل عائشة رضي الله عنها.وكان رضي الله عنه بارّا بها، وواصلا لها .[١٩]

(١٢) فِقْهُ عائشة رضي الله عنها .

(١٣) جواز الحيلة فيما فيه مصلحة ، وخير .

(١٤) فضل الاصلاح بين الناس ، وخاصّة بين الأقارب .

(١٥) قوله (فاقتحم) في رواية البخاري الثانية[٢٠] ، والمعنى : رمى بنفسه على عائشة رضي الله عنها[٢١] ، من دون تأخر أو تردد .لأنّ الموقف يستدعي السرعة ، واستغلال الفرصة ، لأنّها قد لا تُعوّض .

---

(١٤) الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري للكرماني ١١٧/١٤ .
(١٥) صحيح البخاري ١٨٠/٤ رقم ٣٥٠٥.
(١٦) الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري للكرماني ١١٨/١٤ . منحة الباري بشرح صحيح البخاري لزكريا الأنصاري ٥٨٠/٦ .
(١٧) التوضيح لشرح الجامع الصحيح لابن الملقّن ٤٩/٢٠ .
(١٨) عمدة القاري للعيني ٧٧/١٦ .
(١٩) المرجع السابق ٣٥١/٦.
(٢٠) صحيح البخاري ١٨٠/٤ رقم ٣٥٠٥.
(٢١) اللامع الصّبيح بشرح الجامع الصحيح للبِرْماوي ٩٣/١٠ .

(١٦) مقام عائشة رضي الله عنها ،ومكانتها عند المسلمين .

(١٧) قوله:(إذا استأذَنّا فاقْتَحِم الحجاب) [٢٢] فيه : حُسْن التدبير من الزهريين أخوال النبي الله ﷺ ، وجمال التخطيط ، فطلبوا منه أنْ لا يتكلم ، ولا يُصْدِر صوْتا ، ولا يستأذِن بل يهجم مسرعا بِكلّ ثِقَله على أمّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها .

(١٨) قُبول الشفاعة في المخْطِئ .

(١٩) قوله:(في بيع أو عطاء) الشكّ من أحد رواة الحديث ، ويبدو لي – والله أعلم– أنّه عَطاء منها ، لأنّها رضي الله عنها كانت تنفق حتى لا يبقى عندها شيء .

(٢٠) قوله:(أعْتَقَتْ بنذرها أربعين رقبة) أي أنّها حرّرت أربعين إنسانا بسبب هذا النّذر ، كان كلّ واحد منهم مملوكا ، لا يتصرّف بِحريّة .

(٢١) قوله:(وطَفِقَ يناشدها يبكي، وطَفِقَ المسور، وعبد الرحمن يناشدان عائشة) معنى طَفِق ، أي : أخذ ، وشرع ، وأقبل ، وهي من أفعال الشروع ، وفيها معنى لزوم الشيء ، والاستمرار عليه .[٢٣]

(٢٢) على المسلم إذا أراد تحقيق هدفٍ ما ، أن يستمر في المحاولات ، ويواصل المسير قُدُما إليه ، ولا ييأس ، ولا يتوانى .

(٢٣) كانت الكلمة التي قالها ابن الزبير رضي الله عنهما ، قويّة ، ومؤثّرة ، بل ومُوجعة ، فليس هو وليٌّ على عائشة رضي الله عنها ، ولا وصيّ .

(٢٤) الإنسان مجموعة أحاسيس ومشاعر، يفرحُ ، ويغضب ، ويتألم ، ونحو ذلك ، ومن حقّ عائشة رضي الله عنها أنْ تغضبَ من هذا الكلام الشديد الذي قِيل في حقها ، من ابن لها (باعتباره ابن أختها) .

(٢٥) قوله:(لأَحْجُرَنَّ عليها) الحَجْرُ باب من أبواب الفِقْه ، ومعناه : المنع من التصرف . ومنه حجر القاضي على الصغير والسفيه إذا منعهما من التصرف في مالهما .[٢٤]ومنه الحجرُ على المَدِين لحقّ دائنيه .

---

(٢٢) صحيح البخاري ١٨٠/٤ رقم ٣٥٠٥.

(٢٣) الغريبين في القرآن والحديث للهروي ١١٧٤/٤ . جمهرة اللغة لابن دريد ٩١٩/٢ .مجمع بحار الأنوار للفتّني ٤٥٠/٣ . دستور العلماء لعبد رب النبي نكري ١٠٠/١ مادة :طَفِقَ .

(٢٤) النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير ٨٩٦/١ مادة (حَجَر) .

(٢٦) قوله في بداية الحديث:(حُدِّثَتْ) والمعنى : أنّ شخصا أو مجموعة أشخاص أتو عائشة رضي الله عنها ، وأخبروها بما قال فيها ابن الزبير رضي الله عنهما .أرى أنّ الأولى عدم نقل مثل هذا الكلام ، لأنّه يسبب الفتنة بين الناس ، فكيف بالأقارب ، حيث القطيعة ، والهجر ، إذْ كان من ثمرة هذا النقل غير المحمود ، أنْ تسبب في القطيعة ، والهَجْر بين الأحبّة عائشة أم المؤمنين ، وعبدالله ابن أختها ، والذي تحبّه كثيرا .

(٢٧) فضل الصَّدَقَة والنَّفَقَة في سبيل الله .

(٢٨) استحباب الشفاعة في أمور الخير .

(٢٩) قولها:(فهو لله نَذْرٌ) معنى النَّذْر : مِن نَذَرْتُ ، إذا أَوْجَبْتَ على نفسك شيئا ،تَبَرُّعًا من عبادة، أو صدقة، أو غير ذلك .[٢٥]

(٣٠) النذر أنواع ، ومنه نذر اللِجَاج والغضب[٢٦] ، ونذر أمّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها من هذا النوع–والله أعلم– لأنها غضبت غضبا شديدا مما قاله عنها ابن أختها ، فألزمت نفسها ألاّ تكلّمه أبدا ،ونذرت على ذلك .

(٣١) قولها:(أهو قال ذلك؟) فيه التثبّت من الخبر ، قبل الحكم عليه .

(٣٢) قوله:(فاستشفع ابن الزبير بالمهاجرين حين طالت هجرتها إياه) من خلال هذا المَقطع نجد الحالة النفسيّة الشديدة التي يعيشها عبدالله بن الزبير ، جَرّاء هذا الجفاء ، وهذا الهجر الطويل الأمد ،لدرجة أنّه ذهب إلى المهاجرين يطلب شفاعتهم ، ودخولهم في موضوع الصلح بينه وبين عائشة ﵂ .فهو هجْرٌ من حبيب ، وقريب لم يتوقّعْه .

(٣٣) كَرّرت عائشة رضي الله عنها نَذْرَها ، وشدّدت في هجرها لابن أختها بقولها:(والله لا أشفع فيه أحدا أبدا ،ولا أحنث نذري الذي نذرت أبدا)، وفي المُقابل كرّر ابن الزبير رضي الله عنهما ، المُحاولات الحثيثة ، والمُتواصلة لحلّ هذه الأزمة العظيمة ، والمشكلة الجسيمة بينه وبي خالته عائشة رضي الله عنها ، والتوصّل إلى نتيجة إيجابيّة لإعادة المياه إلى مجاريها .

(٣٤) أصبح هذا الموقف همّا يُؤرّق ابن الزبير، ويُنغّصُ عليه حياته ، ويُكدّر عليه صَفْوَ أيّامه .

---

(٢٥) المرجع السابق ٥/٩٢ مادة (نَذَرَ) .

(٢٦) انظر فتوى رقم ٢٥٨٧ عن أنواع النذر . موقع الإسلام سؤال وجواب. إشراف محمد صالح المنجد .

(٣٥) لم يَحْسِب ابن الزبير رضي الله عنهما للكلمة التي قالها كبير حساب ، ولم يُلْقِ لها بالٌ ، ولم يتوقّع بأنها ستصل إلى هذا الحدّ .

(٣٦) حذّر النبي ﷺ من فلتات اللسان ، ونبّه على خطورتها ، حيث قال: " ثكلتك أمك يا معاذ، وهل يكبّ الناس في النار على وجوههم – أو قال: على مناخرهم – إلا حصائد ألسنتهم؟ "[٢٧]،وقال:"أمْسِك عليك لسانك"[٢٨]. إلى غير ذلك .

(٣٧) جواز الحَلِف بأنشدك الله .

(٣٨) فقه ابن الزبير رضي الله عنهما ، من قوله:(فإنّها لا يَحِلّ لها أنْ تنذر قطيعتي) .

(٣٩) هذا الفعل من عائشة رضي الله عنها ، يدلّ على أنّ الصحابة كلّهم بلا استثناء غير معصومين ، وأنّهم بشر يُخطِؤون ، ويصيبون .والمعصوم من عصمه الله ، وأنّ فعلها هذا لا شكّ أنّ فيه قطيعة رحم ، لكنها اجتهدت رضي الله عنها ، وتأوّلت .

(٤٠) قوله:(ولا تَعْلَمُ عائشة أنّ معهما ابن الزبير) عِلْمُ الإنسان محدود ، والعِلْمُ المطلق لله سبحانه .

(٤١) مكانة المسور بن مخرمة رضي الله عنه ، وعبدالرحمن بن الأسود بن عبد يغوث ، وعُلوّ منزلتهما عند عائشة رضي الله عنها ، وعن أبيها .

(٤٢) فقه المسور وعبدالرحمن وعِلْمِهما ، حيث تكلّما بكلام العالم الفقيه، في هذا المقام الكبير أمام عائشة رضي الله عنها ، ، وذكّراها بالله ، وناشداها به سبحانه ، وذكّراها بأحاديث النهي عن الهجر ،والقطيعة حتى تأثّرت ،وقَبِلَت .

(٤٣) وقوف عائشة رضي الله عنها عند حدود الله ،واستجابتها لنداء الحق.

(٤٤) لِين قلوب الصحابة رضي الله عنهم ، وعودتهم للحق عند تذكيرهم ،وانصياعهم لذلك، وعدم أَنَفَتِهم ، وتكبّرهم .

---

(٢٧) مسند الإمام أحمد ٣٤٤/٣٦ رقم ٢٢٠١٦ .السنن الكبرى للنسائي ٢١٤/١٠ رقم ١١٣٣٠ .سنن الترمذي ١١/٥ رقم ٢٦١٦ .وقال:حديث حسن صحيح . سنن ابن ماجة ٢ /١٣١٤ رقم ٣٩٧٣ . قال الألباني رحمه الله:صحيح بمجموع طُرقه (سلسلة الأحاديث الصحيحة ١١٥/٣ رقم ١١٢٣).

(٢٨) سنن الترمذي ٦٠٥/٤ رقم ٢٤٠٦ وقال : حديث حسن .المعجم الكبير للطبراني ٢٧٠/١٧ رقم ١٤٤٢٩ .وقال الألباني رحمه الله:صحيح لغيره .(صحيح الترغيب والترهيب ٢٧/٣ رقم ٢٧٤١).

(٤٥) قوله:(واعتنق عائشة وطَفِقَ يناشدها يبكي وطَفِقَ المسور،وعبد الرحمن يناشدان عائشة إلا كلمته وقبلت منه) إنّه مَشْهدٌ عظيمٌ ، ورائعٌ ،وصورةٌ مُعبّرة ،ولوحَةٌ بديعةٌ تَنْبُض بالحياة ، والحركة .تَقفُ الكلمات ، وتَحَار العِبارات في وصف هذا المَشْهد المؤثّر ، التهبت فيه المشاعر ، واهتزّت العواطف ، وانهمَرت فيه العبرات .

(٤٦) قوله:(فلم يزالوا بها حتى كلّمت ابن الزبير) وجَد المسور وعبدالرحمن ؛ انفراجا من عائشة رضي الله عنها، ولِيْناً في موقفها ، فاستغلّا ذلك بالإلحاح عليها ، وتذكيرها فاستمرا على ذلك حتى انفتح قلبها ، وانشرح صدرها فكلّمت ابن الزبير رضي الله عنه وعن أبيه .

(٤٧) قولها:(أعمل عملا فأفرغ منه) أهميّة العمل في الإسلام .

(٤٨) القلوب لها مفاتيح ، ولا بدّ لكل قلب من مفتاح يفتحه . فقد فتح الله قلب أم المؤمنين رضي الله عنها لمكالمة عبدالله بن الزبير رضي الله عنهما.فعلى الداعية ، أو المُربّي أن يبحث عن المفتاح الذي يفتح به القلوب ، حتى تُقْبِل على الله .

(٤٩) قولها:(ولا أَحْنَث) معنى الحنث : هو الإثم والذنب والحُلف في اليمين يعني نَقْضَها ،وهو المخالفةُ بموجب اليمين بعدم الوفاء بموجبها.[٢٩]

(٥٠) مبدأ الحوار يطغى على هذه القصّة .

(٥١) بعض الأفكار ، والاقتراحات تكون إيجابيّة وفاعلة ، وقد كانت فكرة دخول ابن الزبير رضي الله عنهما مشتملا عليه بأردية المسور وعبدالرحمن، فكرة جميلة آتت ثمارها .

(٥٢) اتّخذ ابن الزبير رضي الله عنهما قرارا حاسما ؛ لم يتراجع فيه ، وهو أن تكلّمه أم المؤمنين ، وترضى عنه ، وكان له ما أراد بالعزيمة ، والاصرار .

(٥٣) التعاون من أساسيات النجاح ، فتعاون المسور وعبدالرحمن مع ابن الزبير ، ساعده ذلك في اجتياز هذه الأزمة .

(٥٤) قوله:(والله لَتَنْتَهِيَنّ عائشة، أو لأَحْجُرَنَّ عليها) أكّد ابن الزبير رضي الله عنهما هذا القسم بالواو ، واللام ، والنون المُشدّدة ،مما يدلّ على القصد ، والعزم على الفعل.

---

(٢٩) التعريفات الفقهية للبركتي ص ٨٢ .

(٥٥) قوله:(فاستشفع ابن الزبير بالمهاجرين) يدلّ على أفضليّة المهاجرين ، وتقديمهم على غيرهم .

(٥٦) قوله:(حين طالت هجرتها إياه) ،وقوله:(فلما طال على ابن الزبير) يدلّ على أنّ مُدّة الهَجْر بين عائشة ، وابن الزبير رضي الله عن الجميع ، لم تكن قصيرة ، بل كانت طويلة .

(٥٧) قوله:(حتى استأذنا على عائشة) الاستئذان مبدأ إسلامي رفيع ، وقاعدة أخلاقية جميلة ، وهو مأمور به شرعا .

(٥٨) السلام اسمٌ من أسماء الله ،وهو يُدخل الراحة ،والطمأنينة في القلوب.

(٥٩) قوله:(وطَفِقَ يُناشِدُها يبكي) البكاء وسيلة من وسائل التأثير ، وهو يخفف مافي الصدر ، ويَغْسل مافي الفوائد .

(٦٠) قد يندم الإنسان على بعض الأمور التي فعلها ، وتمنى أنّه لم يفعلها ، أو أنه فعل خيرا منها .